هل من سبيل الى عودة العرب
الى مثل الاسلام العليا ؟

للأستاذ خليل الخورى

قرأت جميع المقالات التي نشرت في العدد الممتاز من مجلة « الرسالة » الغراء ، الصادر في ٧ يناير . وأعدت قراءتها المرة بعد المرة ، فخرجت من دراستها والتأمل فيها بأمرين خطيرين : الأول : أن الإسلام هو الذي أضرم في قلوب العرب الجذوة المؤججة من نار الحماسة القومية والروحية ، فبعثهم من سباتهم واندفعوا في جميع الجهات وتمكنوا — وهم فئة قليلة — بما كان لهم من الإيمان الوطيد من تدويخ الأقطار والأمصار ، ومن القضاء على الإمبراطوريتين العظيمتين الفارسية والرومانية اللتين كانتا تسيطران على دنيا ذلك الزمان . ولما استكملوا الفتوحات واستتب لهم الأمر ، ساروا في سبيل الحضارة والعلوم ، فقطعوا في مضمارها أشواطاً ، بزوا فيها جميع الأولين . والثاني : أن العرب ما تخلفوا عن قافلة الحضارة إلا لما تخلوا — بل لما تخلى زعماؤهم — عن المثل العليا التي فرضها لهم دينهم العظيم مبعث كل حق ومصدر كل عدل ، فتكالبوا على الدنيا وحطامها .

ذانك الأمران حقيقتان لا ريب فيهما : الحقيقة الأولى : تبعث في نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا الفطاريف ، والأمل بأن تعود سيرتهم الأولى فترد شيئاً من مجدنا الضائع . والحقيقة الثانية : تحدث لنا شجناً وحزناً بليغاً ، بل يأساً من هذا التخاذل والزيغ الذي صرنا إليه بسبب هجرتنا لمبادئنا العليا ، بل بسبب سروق زعمائنا وحكامنا من مهيع الهدى ، وسيرهم في سبيل الضلال والأنانية والأثرة . هذا هو داؤنا الوبيل ، وكلنا نعرفه ونشكو منه ، وكلنا العلماء والجهلاء يعرفون هذا الداء ويصفون الدواء أيضاً ، فيناشدون الزعماء والحكام بأن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ، ويقتبسوا ولو اليسير بأجدادنا العظماء في صدر الإسلام — كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب — ويروى التاريخ أن أبا بكر دعا ابنته عائشة وهو على فراش الموت وقال لها : « اعلمي يا بنيتي أني لم آخذ من أموال المسلمين وأمنائهم شيئاً ، وإنما أكلت من جريش طعامهم وارتديت من خشن ثيابهم ، وليس لي من أموالهم سوى هذه القطيفة وهذه البغلة وهذا العبد ، فإذا مت فخذي هذا كله وسلميه إلى عمر » . ثم توفي أبو بكر فأخذت ما أوصى به وسلمته إلى عمر ، فأعتق عمر العبد وأرسل القطيفة إلى بيت المال ، أما البغلة فقال : « إن ركبتيك يا عمر ينبغي أن تحملاك من بيتك إلى دار الحكم » وردها إلى بيت المال ، هكذا كان يفعل حكامنا الأولون

ما السبيل للعود إلى مثل الإسلام العليا ؟ إن السبيل الوحيد هو تولي الصالحين الذين يتقون الله ، المناصب العليا والصغرى في الدولة ، وتمكينهم من الجلوس على مقاعد النيابة ، فيكون ولاة الأمور وأصحاب البسط والقبض من العلماء والكتاب والفضلاء المعروفين بالتقوى والصلاح والزهد ، والرغبة عن حشد المال وعن الإثراء باستغلال الوظائف

إننا نسلم أن الأمة العربية لا تخلو من الأبرار الصالحين ، والفضلاء المتدينين ، على أن أمثال هؤلاء الأتقياء الشرفاء بعيدون عن الحكم ، وإذا شاؤوا الوصول إليه وحاولوه لفشلوا يقيناً لأنهم لا يملكون وسائله ، وإنما يملك تلك الوسائل أهل السياسة وأهل المال ، وفي معظم الأقطار العربية لا يمكن أن يكون نائباً سوى الغني

سبابي وشتائمي . وليعلم الأستاذ الفاضل ، إن كان لا يعلم ، أن هؤلاء السفهاء في الدنيا كثير ، فإذا كان يغضب لكل سفاهة من سفيه ، فإن شقاءه سيطول بغضبه ، فدع السفهاء وليقولوا ما شاؤوا ، وكن أنت صنيعنا بكرامتك ، فإنها أعز وأغلى من أن تبذل على الألسنة . وتقبل إن تفضلت عذري وشكري واحترامي وتقديري ، ومجازي عن مخالفتك ، وحبي لرضاك ، وقد بلغت مني في مقالك ما شئت ، وناصيتي بيدك ، وفي المثل : « ملكت فأسجح » . فافعل مؤيداً منصوراً ، والسلام

محمود محمد شاكر

المثرى الذى يستطيع أن يشترى مقعداً فى البرلمان من الزعيم الذى يملك القرى وسكانها ، فيأمرهم بإعطاء أصواتهم لذلك الغنى المثرى الذى دفع له الثمن الفادح

من أجل هذا نرى أن الرجل الشريف التقى النقى مقصى عن دوائر الحكم ، لا يستطيع إلا البكاء والتفجع لما يشهد فى تلك الدوائر — فى مقالات يذيعها وفى قصائد ينظمها — يناشد فيها أولئك الحكام أن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ويسلكوا فى أعمالهم المحجة ويحملوا بأيديهم مصباح « ديوجنس » يبحثون بضوئه عن الصالحين المختبئين المتكتمين فى الزوايا ، وينتقونهم لولاية مصالح العباد . ومن سخرية الأقدار أننا نرى أولئك الحكام يشاركونه فى دعوته وفى بكائه وفى شجب الشر والإثم وفى استنكار الخروج على الفضيلة ، وهم ممعنون فى اجتراح الحرب ، لماذا لا يكون الثاليون المتحلون بمكارم الأخلاق من رجال الحكم ، ولماذا لا نرى فى الغالب الحاكمين وكبار أصحاب المناصب ، حتى الصغار إلا من طغمات الانتهازيين والوصوليين ، وإن وجد فى دور الحكم المتنزهون عن المطامع ، فهم نفر قليل

يقول دعاة الشر والخبث إن هذا الجيل جيل فاسد ، وأنه ينبغى لنا أن ننتظر الأجيال القادمة التى يؤمل منها الخير — ألا فقولوا إن هذا الكلام يراد منه التخدير وإلهاء الأمة عن الشرور التى ترتكب — فإن هذا الجيل كغيره من الأجيال ، فيه الصالح وفيه الطالح ، ومن الواجب أن نسعى ونبذل الجهود فى منع الطالحين من تولى مقاليد الأمور ، وفى تمكين الصالحين من الوصول إلى الحكم

ويخيل إلى ولا أرانى بعيداً عن الخطأ فيما أتخيل ، أنه لو أتيح لأصحاب المثل العليا من الأتقياء الأنقياء أن يلوا الحكم فى البلدان العربية ، لكانوا نجوماً يقتدى بهم ويهتدى ، ولكانوا ينتقون ذوى الصلاح والتقوى لتقلد الوظائف والمناصب فى الدولة ، ولكانوا اتفقوا على وحدة الأمة ولو اقتضت الوحدة خسران مناصبهم ، ولما كانوا رضوا ببقاء هذه الدويلات الهزيلة السقيمة التى لا وزن لها بين الدول ، والتى هى أقوى الحجج على انحطاط العرب وتخاذلهم فى وجه الأخطار التى تحيق بهم من جميع الجوانب ، ولكانوا انتزعوا السخائم من قلوب العرب ، ولموا شعثهم وجعلوا منهم دولة واحدة موحدة ، فتزول الحواجز والحدود المصطنعة ، وتعطى الحرية لتنقل الأشخاص والأشياء فى جميع أراضى الناطقين بالضاد

ولكن كيف يكون ذلك وما السبيل إلى تمكين الأتقياء الحقيقيين من ولاية الأمر فى الدولة ؟ وتمن لى ثلاثة تدابير ينبغى أن نتخذ لمحاولة الوصول إلى تلك الأمنية التى ننشدها :

التدبير الأول : إن معظم الناس يجهلون ما فى الإسلام من المثل العليا ، ويزدرون الدين ويستهترون — ولعل السبب الأكبر فى ذلك هو أنهم لم يربوا التربية الدينية فى طفولتهم ، ولم يتعلموا تعليما دينيا صحيحاً فى المدارس — ويا حبذا لو جعل التعليم الدينى فرضاً فى جميع المدارس العربية وفى جميع مراحل الدراسة حتى الجامعية ، وينتقى لهذا التدريس كبار العلماء المثقفين الشرفاء ، وبهذه الطريقة ترسخ مبادئ الدين العليا فى قلوب الناشئة من البنات والبنين ، وتظل راسخة إذا ظلوا يثقفون الدراسة فى المعاهد العليا ، وإلا محيت من النفوس ، وينشأون على احترام دينهم وما فيه من أدب للدنيا والدين . ومثل هذه التربية قمينة على العموم أن تجعل الخير غالباً على الشر ، وتخلق فتياناً ذوى تقى ينشرون الفضيلة وألحق أينما عملوا ، أفى الحكومة أم فى غيرها

التدبير الثانى : هو تدبير ذو أثر عاجل ، ومؤداه أن يعمى كبار أصحاب المناصب فى الدولة الذين هم من أصحاب المثل العليا ، ووجدوا فى دور الحكم من قبل القضاء والقدر الميمون ، أقصى العناية لاستخدام الذين يخافون الله ، والذين هم شجعان صناديد على الباطل ، جبناء رعاديد على الحق ، فإذا فعلوا ذلك خففوا من وطأة الشر المستفحل

التدبير الثالث : يكون فى جعل الانتخابات للبرلمان حرة إلى أقصى الحدود . إن النظام البرلمانى إنما هو بدعة غربية استوردناها كما استوردنا غيرها من كثير البدع

التى نشأت فى أوربا منــذ بضعة قرون ، أخذناها بجميع عجــرها وبجرها . وعندى إن صح أن يكون لى « عند » أنه يجب تعديل القوانين الانتخابية فى الأقطار العربيــة ، بحيث تشمل القواعد الآتيـــــة :

القاعدة الأولى : أن تقسم الدولة إلى دوائر انتخابية مستقلة ولا يرشح للانتخاب فى الدائرة إلا أحد أبنائها ، لأنه لا يعرف أدواءها وظلاماتها سوى أبنائها

القاعدة الثانية : أن يلغى نظام القائمــة المعمول به فى بعض البلدان العربية ، فإنه نظام فاسد ، ومحصله أن المرشح الذى يفوز فى الانتخاب لا يمثــل الدائرة أو الدوائر التى يشملها نفوذ زعيم القائمة ، وإنما هو يمثل الزعيم نفسه ، ويخدم فى المجلس متى وصل إليه مصالح الزعيم ومطامعه ، لا مصالح الأمة

القاعدة الثالثة : أن يرشح الشخص مستقلا منفصــلا عن الأحزاب والهيئات والحكومات

القاعدة الرابعة : أن تلغى الدعاوات بشكلها الحاضر المخزى الفاضح ، لأنهــا تجرد الناخبين مــن حريتهم فى انتخاب من تلهمهم لانتخابه ضمائرهم ، ولأنه لا يستطيعها سوى أصحاب الأموال الذين ينفقون عليها فاحش البالغ من الأموال ، فيحرم الشرفاء المخلصون الأتقياء الوصول إلى مقاعد النيابة ، لأن ضآلة أموالهم وأنفتهم وعزتهم تربأ بهم من القيام بمثل تلك الدعاوات ، وبذلك تحرم الأمة الانتفاع من أبنائها الأبرار ، ويحكمها بهــذه الطريقة الأغنياء التجار ، ويسود نظام « البلوتارخية » . تأمل أن فى الدائرة الانتخابية مرشحين ، أحدهما مثر والآخر لا مال له . الأول يقيم الحفلات والمهرجانات يوماً بعد يوم ، يحشد إليها الناس ويغدق عليهم العطايا وأطايب الطعام والشراب والدخان ، والثانى لا يستطيع من ذلك شيئاً (أولا) لقــلة ماله و (ثانياً) لأنه يراه شناراً وخزياً . وبمثل هــذه الأساليب تصبح مؤهلات النائب الواقعية المــال والثراء ، لا العــلم والإخلاص ومكارم الأخلاق ، فيا ويلنا ممــا نحن فيه من الأوصاب التى لن تفضى بنا إلا إلى شر المآب

القاعدة الخامســة : أن يكون عدد النواب أقل ما يمكن ، ويجب أن ينقص النواب فى كل قطر إلى نصف عددهم الحاضر ، ولا يزاد ولو زاد السكان

ويا حبذا لو أنعم كتاب « الرسالة » الغراء الروية فى هــذه الشجون التى يعانيها العرب أجمعون ، لعلهم يهتدون إلى سبيل قويمة لإصلاح النظام القائم إصلاحاً ، يمكن أصحاب المثــل العليا من أهل العــلم ومكارم الأخلاق من تولى مقاليد الأمور ، ومن الوصول إلى مقاعد النيابة التى هى مصدر السلطات كلها

طرابلس الغرب

خليل الخورى
القاضى فى طرابلس الغرب

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهى كآلام « فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنهــا

٢٠ قرشا عدا أجرة البريد